

البطل الفازي العربي

عبد الله البطال

في تاريخ مدينة دمشق

تحقيق: سكيئة الشهابي

بطل عربي مسلم حفظ ذكره التاريخ العربي ، وتناقلت أخباره السير الشعبية فزادت فيها ما شاءت حتى غدت هذه الأخبار بعيدة عما حفظته لنا الروايات العربية الصحيحة ، وطست الحقائق في فيض من الخيال لتتسج تلك القصة البطولية المحبة ، أو الاسطورة الرائعة « الأميرة ذات الهمة » • ودوى صيته في بلاد الروم فامتلات القلوب منه فرقا ، وله رهبة ، ثم تحول ذلك بعد مقتله في ساحة المعركة الى نوع من الاكبار والتقديس (١) •

ان أحداث التاريخ العربي تعطي صورة واضحة المعالم للمجاهد الأمثل « عبدالله البطال » ، ولا تختلف في المكان من أرض الروم الذي قصده في غزواته ، كذلك لا تختلف في تسمية القواد المسلمين الذين صاحبهم البطال ولكنها لا تكاد تذكر شيئا عن نسبه ، فلا تسمي أباه ولا تحفل بكنيته ، فهو أبو محمد، وقيل : أبو يحيى ، وقيل : ان اسم أبيه عمرو ، وجده علقمة — ولم يذكر ذلك ابن عساكر —

ولولا تواتر الروايات العربية الصادقة في نقل أخباره لظننا أنه رمز للبطولة والشجاعة تمثلت في جندي مجهول ، فهو الحقيقة الكبرى في التضحية والفداء ، ولكنه لا يحمل اسماً معيناً لأنه يلخص أسماء كثيرة ، نقدم له أكايل الزهور ، ونقرأ على روحه الفاتحة لأن روحه هي أرواح الآلاف من المجاهدين الأبطال • وما أقرب الشبه بين المعاني البطولية الرائعة • حتى في التسمية، انه عبدالله ، وكلنا عبيد الله، وهو البطال ، وفي اللغة : رجل بطل وبطلان، شجاع ، فاللفظة صفة عرف بها ، وليست شهرة ورثها عن أب أو جد •

وحين نتتبع كلمة «بطال» في كتب النسب لا نعثر على شيء ذي بال •

يقول السمعاني (٢) في مادة « البطالي » : البطالي — بفتح الباء وتشديد الطاء المهملة — هذه النسبة الى البطال ، وهو اسم لجده أبي عبدالله محمد بن ابراهيم بن مسلم بن البطال

اليمني البطالي نزيل المصيصة ، وهو من صعدة اليمن ، قدم بغداد وحدث بالمصيصة بعد سنة عشر وثلاثمائة . ولا يضيف ابن الأثير الى ما قاله السمعاني شيئاً (٣) . ونرجع الى ترجمة محمد بن ابراهيم بن مسلم ، أبي عبدالله بن البطال ، في تاريخ بغداد (٤) فنجد ترجمة قصيرة للرجل فيها نسبه الذي ينتهي بالبطال ، ثم روايته ، وخبر بروايته .

نخلص مما جاء في هذه الكتب الثلاثة الى ما يشبه اليقين من أن « البطال » الوارد في نسب أبي عبدالله محمد بن ابراهيم هو هذا الفارس العربي على الرغم من أن واحداً من هذه المصادر المتقدمة لم يذكر ذلك صراحة ، ويحضرني في هذا الموضع قول الشاعر العربي:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجوددي

ونعود الى أخبار التاريخ العربي في الحديث عن البطال فنجدها متقاربة ، لا ترتفع فوق الواقع الا في اعطاء نموذج فرد للانسان العربي الذي فطر على الشجاعة ، والذكاء ، وحب التضحية ، وجاء الاسلام ليعمر قلبه بالايمان فيزكي تلك المعاني السامية ، ويؤلف بينها تأليفاً عجيباً يجعل من صاحبها الصورة الكاملة التي تطمح نحوها الأبصار ، وتتلهم اليها القلوب .

ولكن الأسطورة الشعبية « الأميرة ذات الهمة » تجعلنا في حيرة من أمرنا بين الحقيقة والخيال ، وينقذنا من هذه الحيرة الحافظ الكبير ابن عساكر في تاريخ دمشق .

لا شك أن الحافظ سوف يستقصي كل ما قيل عن الرجل ، وينسقه مبعداً عنه ما لم يصل اليه بطريق صحيحة من غير أن يعلق على تلك الأخبار الواهية أو يشير اليها . وهذا ما يهم القارئ العربي ، لأن هذا القارئ يحب أن يرى الماضي بعينه لا من خلال عيون الباحثين ، والنقاد ، والقصاصين . هذا هو التاريخ الصحيح ، وما عداه قد يكون فلسفة للتاريخ ، أو أي شيء آخر الا أن يكون التاريخ نفسه .

روى ابن عساكر أهم أخبار البطال من طريقتين الى « محمد بن عائد الدمشقي » ، أحدهما طريق كتاب « المغازي » . والآخر طريق كتاب « الفتوح » (٥) ، وهذان الكتابان من أهم الكتب التي روت أحداث الفتوحات العربية ، نعلم ذلك من النقول الكثيرة التي نجدها في تاريخ دمشق من طريق ابن عائد ، أما الكتابان ، فلا نعلم عنهما شيئاً حتى الآن ، وما أكثر النصوص والوثائق التاريخية الهامة التي ينقلها ابن عساكر بتمامها من طريقه مما لا نعثر عليه كاملاً في أي مصدر آخر .

ومع أن ابن كثير في البداية والنهاية (٦) وابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ (٧) قد لخصا لنا ما رواه ابن عساكر في ترجمة هذا الرجل من طريق ابن عائد الا أن الصورة السليمة التي رواها ابن عائد لم تنقل بأمانة الا في تاريخ دمشق من الطريقتين الذين سيطالعاننا بعد قليل في ترجمة البطال .

لا نعلم تاريخاً لمولد هذا المجاهد العربي ، وأول ذكر نجده له في التاريخ حين عقد عبدالملك بن مروان لابنه مسلمة على غزوبلاد الروم ، وولى على رؤساء أهل الجزيرة

والشام البطال • وقال لابنه مسلمة : « صيره على طلائعك ، وأمره فليعس بالليل العسكر ، فانه أمين ، ثقة ، مقدام ، شجاع » (٨) •

ثم تتوالى أمامنا سلسلة من الأحداث البطولية يرويها الحافظ ابن عساكر من طريق ابن عائد يأتي في نهايتها خبر مقتل البطال ، وهذا الخبر وحده يؤلف ملحمة رائعة ، تضع اسم المجاهد العربي في سجل الخالدين أولئك الذين حرصوا على الموت لتكتب لهم الحياة الأبدية •

هناك ما يشبه الاجماع على أن البطال مات سنة ١٢٢ (٩) • أما خليفة (١٠) فقد ذكر وفاته سنة ١٢١ • وذكر الذهبي وفاته سنة ١١٢ • وقال : « وقيل سنة ثلاث عشرة ومائة » (١١) •

وما يلفت الانتباه أن هناك رقمين متقاربين : « ١١٢ و ١١٣ » و « ١٢٢ ، ١٢٣ » ، فهل نقول : ان الرقمين الأولين جاءا تصحيحاً للرقمين الآخرين ، وهو ما نسترجعه من أحداث التاريخ (١٢) وما توافق عند أكثر المؤرخين ؟ أم ننظر الى ما نقلته لنا المصادر نظرة محايدة كما فعل الحافظ الكبير فقد جمع كل ما قاله القدماء ولم يفضل واحداً من هذه الأقوال على الآخر ؟

واذا كنا لم نعرف تاريخ مولد البطال ، فاننا كذلك لا نستطيع أن نعرف بدقة متى بدأ غزواته في بلاد الروم ، الا اذا اعتبرنا مسيره مع مسلمة بن عبد الملك تاريخ ابتداء هذه الغزوات •

أما تلك الخوارق والأعاجيب التي نسبت الى البطال في القصة الشعبية : « الأميرة ذات الهمه » فقد وقف منها المؤرخون موقف المفند ، فقال الحافظ الذهبي : « ولكن كذب عليه أشياء مسحيلة في سيرته الموضوعه (١٣) » • وقال ابن شاعر الكتبي : « وأما ما تذكره العامة من الأعاجيب في السيرة المنسوبة الى البطال ودلقمة ، والأمير عبدالوهاب والقاضي عقبة فكذب ، وافتراء وجهل وكثرة تخبيط فاحش لا يروج الى على غبي كما تروج عليهم سيرة عنتره العبسي المكذوبة (١٤) » •

أما ابن عساكر فقد تقصى في أخباره ما لم يتقص غيره ، ونقل أخباره المطولة من مصادر لا نعرف عنها سوى الاسم ، ولكنه لم يذكر شيئاً من الخوارق والأعاجيب ، ولم يشر اليها أية اشارة ولو من قبيل التفنيذ والدحض •

وها هي ذي أخبار الغازي العربي عبدالله البطال بين يدي القارئ المستمتع والباحث المنقب ، أضيف بها صفحة مضيئة الى التاريخ العربي نحن بأمس الحاجة اليها في ظروفنا الراهنة •

عبد الله أبو يحيى المعروف بالبطل*

كان ينزل انطاكية

حكى عنه أبو مروان الانطاكي

أخبرنا أبو النجم بدر بن عبدالله ، أنا أبو بكر الخطيب •

ح وأنبأنا أبو محمد هبة الله بن أحمد المزكي ، وعبدالله بن أحمد بن عمر ثم حدثني أبو القاسم وهب بن سلمان ، أنا أبو محمد بن الأكفاني ، قال : أنا أبو الحسين طاهر القايي - زاد الأكفاني : وثنا أبو بكر الخطيب •

قالا : أنا أبو الحسن بن رزقويه ، أنا عثمان بن أحمد الدقاق ، أنا أبو علي الحسن ابن سلام السواق ، أنا الصباح بن بيان البغدادي ، أنا يزيد بن أوس الحمصي ، عن عامر بن شراحيل ، عن عبدالله بن سعيد بن عيسى الهمداني - قال : بدر (١٥) •

بقصة (١٦) غزاة مسلمة ، ولم يسقها (١٧) ، وساقها الآخرون فقالا : -

وكان ممن خرج مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان الى بلاد الروم - قال : لما أراد عبد الملك بن مروان بن الحكم أن يوجه مسلمة ابنه الى بلاد الروم ، قال : قد أمّرت عليكم مسلمة بن عبد الملك • قال : وولى على رؤساء أهل الجزيرة والشام البطل ، وأقبل على مسلمة فقال : صيّر على طلائعك البطل ، وأمره فليعس بالليل العسكر ، فانه أمين ثقة مقدم شجاع (١٨) •

فخرج مسلمة ، وخرج عبد الملك معنا يشيعنا حتى بلغ الى باب دمشق • فذكر القصة

أخبرنا أبو محمد بن الأكفاني بقراءتي ، أنا عبد العزيز بن أحمد ، أنا أبو محمد بن أبي نصر ، أنا أبو القاسم بن أبي العقب ، أنا أبو عبد الملك أحمد بن ابراهيم القرشي ، نامحمد ابن عائذ ، أنا الوليد بن مسلم ، قال :

فحدثني بعض شيوخنا أن مسلمة بن عبد الملك عقد للبطل على عشرة الاف (١٩) من المسلمين فجعلهم سيارة فيما بين عسكر المسلمين وما يليهم من حصون الروم ، ومن يتخوفون اعتراضه في نشر (٢٠) المسلمين وعلافاتهم (٢١) ويخرج المسلمون يتعلمون فيما بينهم وبين العسكر ، فيصيبون ويخطئون ، فيأمن بهم العسكر ، وتلك العلافات •

أنبأنا أبو تراب حيدرة بن أحمد الأنصاري وغيره قالوا : حدثنا عبد العزيز بن أحمد ، أنا أبو محمد بن أبي نصر ، أنا أبو القاسم بن أبي العقب ، أنا أبو عبد الملك أحمد بن ابراهيم القرشي ، أنا محمد بن عائذ (٢٢) ، أنا الوليد بن مسلم ، حدثني أبو مروان شيخ من انطاكية ، قال :

* تاريخ خليفة ٤٩٥/٢ ، ٥٠٧ ، ٥٢٤ ، ومكارم الاخلاق ٤٩٥ ، ٥٠٧ ، ٥٢٤ ، وتاريخ الطبري ٨٨/٧ ، ٩٠ ، ١٩١ وتاريخ بغداد ٢٣٨/٩ ، ودول الاسلام ق ٢١ وسير اعلام النبلاء ٢٦٨/٥ ، وتاريخ الاسلام ٢٢٧/٤ ، والكمال في التاريخ ٢٤٨/٥ والبداية والنهاية ٢٣١/٩ ، والنجوم الزاهرة ٢٧٢/١ ، وعيون التواريخ ٥/٥ (خ ٤٥) وفيه نقلا عن ابن عساكر : « عبدالله أبو محمد وقيل أبو يحيى » سرد اخباره عن ابن عساكر باختصار •

كنت أغازي البطال (٢٣) وقد أوطأ الروم ذلاً • قال البطال : فسألني بعض ولاية بني أمية عن أعجب ما كان من أمري فيهم فقلت :

• خرجت في سرية ليلاً ، ودفعنا إلى قرية ، وقلت لأصحابي : أرخوا (٢٤) لجم خيولكم ، ولا تحركوا أحداً بقتل ، ولا بسبي حتى تشحنوا (٢٥) القرية ، فانهم في نومة • قال : ففعلوا ، وافترقوا في أزقتها • ودفعت في ناس من أصحابي إلى بيت يزهر سراج (٢٦) وامرأة تسكت ابنها من بكائه ، وهي تقول : لتسكتن أو لأدفعنك إلى البطال يذهب بك ! - فانتشلت من سريرته فقالت : أمسك يا بطل ، فأخذته (٢٧) •

قال (٢٨) ونا الوليد ، نا أبو مروان أنه سمعه يحدث قال :

خرجت ذات يوم متوحداً على فرسي لأصيب غفلة - أو منفرداً - متسماً (٢٩) مخلاة فيها عليق (٣٠) فرسي ، ومندبل فيه خبز وشواء • فبينما أنا أسير إذ مررت ببستان فيه بقل طيب ، فنزلت ، فعلقت على فرسي ، وأصبت من ذلك الشواء ببقل البستان ، إذ أسهلني بطني (٣١) ، فاختلفت مراراً ، فأشفقت من دوامه وضعفي عما يجيء علي من الركوب ، فبادرت فركبت ، ولزمت طريقاً ، واستفرغني على سرجي كراهية أن انزل ، فأضعف عن الركوب ، حتى لزمت عنقه متشبهاً ببرطنج (٣٢) مخافة أن أسقط عنه • وذهب بي ولا أدري أين يذهب بي إذ سمعت وقع حوافره على بلاط ، ففتحت عيني فإذا دير ، فوقف بي في وسط الدير ، وإذا نسوة يتطلعن من أبواب الدير • فلما رأين أنه لا تبع لي ، ورأين حالي ، وضعفي عن النزول خرجت صاحبة منهن حتى وقفت علي ، ونظرت في وجهي ، وعرفت من حالي ، ورطنت لهن تحتسب علي ، فأمرت أن فنزعن عني ثيابي ، وغسلن ما بي ففعلن • ودعت بشياب فالبستنيها ، وترياق ، أو دواء فشربته ، ثم أمرت بي فجعلت على سرير لها ، ودثار ، وأمرت بطعام فهيء لي ، فأتيت به • وأقمت يومي ذلك وتلك الليلة مسبوتاً (٣٣) لا أدري ما أنا فيه •

قال : وأصبت من الغد على ضعف من الركوب ، وأقمت ليلتي ويومي وليلتي ، فذهب عني السبات ، وأنا ضعيف عن الركوب ، حتى كان في اليوم الثالث جاءها من يخبرها أن فلاناً البطريق قد أقبل في موكبه ، فأمرت بفرسي فنيب ، وأغلق علي باب بيتي الذي أنا فيه • ودخل البطريق ، فأنزلته منزلاً ، واقتفت به (٣٤) وبأصحابه ، وأسمع بعض النسوة تخبر أنه خاطب لها • فبينما هو على ذلك إذ جاءه من يخبره عن موضع فرسي ، واغلاقهم علي ، فهم أن يهجم علي ، فأقسمت لئن هو تعرضني لا نال حاجته ، فأمسك • وأقام قائلة ذلك اليوم في قري ، ثم تروح • وخرجت ، فدعوت بفرسي • فخرجت الي ، فقالت : اني لا آمن أن يكمن لك ، دعه يذهب ، فأبيت عليها • وركبت فقفوت الأثر حتى لحقته ، وشددت عليه ، فانفزع عنه أصحابه فقتلته ، وطلبت أصحابه فهربوا عني • وأخذت فرسه فسمّطت (٣٥) رأسه ، ورجعت إلى الدير ، فألقيت الرأس ، ودعوتها ومن معها من نسائها ، وخدمها ، فوقفن بين يدي ، وأمرتها بالرحلة ومن معها على دواب الدير ، وسرت بهن إلى العسكر حتى دفعت بهن إلى الوالي ، فجعل نفلي منهن ، فتفتلت (٣٦) المرأة بعينها ، وسلمت سائر الغنيمة في المقسم ، واتخذتها فهي أم بني •

قال أبو مروان : وكان أبوها بطريقاً من بطارقة الروم ، له شرف ، يهاديه ويكاتبه .

(٣٧) أخبرنا أبو تراب حيدرة بن أحمد المقرئ وغيره في كتبهم ، قالوا : نا عبدالعزيز بن أحمد أنا أبو محمد بن أبي نصر ، أنا أبو القاسم بن أبي العقب ، أنا أبو عبد الملك القرشي (٣٧) ، قال : وأنا ابن عائذ ، عن الوليد ، قال : سمعت عبدالله بن راشد مولى خزاعة يخبر عن سمعته (٣٨) من البطال يخبر (٣٩) .

أن هشاماً أو غيره من خلفاء بني أمية كان قد استعمله على ثغر المصيصة وما يليها ، وأنه راث (٤٠) عليه خبر الروم فوجه سرية لتأتيه بالخبر عن غير إذن من الوالي .

قال البطال : فتوجهوا . وأجلت لهم أجلاً ، فاستوعبوا (٤١) الأجل ، فأسفقت من مصيبتهم ولائمة الخليفة وضعف أميرهم ، فخرجت متوحداً حتى وغلت في الناحية التي أمرتهم بها ، فلم أجد لهم خبراً . فعرفت أنهم أخبروا بغفلة أهل ناحية أخرى فتوجهوا إليها . وكرهت أن أرجع ولم أستنقذهم مما هم فيه ، ان كان عدو يكاثرهم ، وأعرف من خبرهم ما أسكن اليه ، فلم أجد أحداً (٤٢) يخبرني بشيء . فمضيت حتى أقف على باب عمورية - فضربت بابها ، وقلت للبواب : افتح لفلان سياف الملك ورسوله ، وكنت أشبه به - فأعلم ذلك صاحب عمورية ، فأمره بفتح الباب ، ففعل ، وأدخلني ، فلما صرت الى بلاطها ، وقفت وأمرت من يشتد بين يدي الى باب بطريقها ، ففعل ، ووافيت (٤٣) باب البطريق قد فتح ، وجلس لي ، ونزلت عن فرسي ، وأنا مثلثم بعمامتي ، فأذن لي ، ومضيت حتى جلست على مثال (٤٤) الى جانب مثاله ، فرحب ، وقرّب . وقلت : أخرج من أرى فاني قد حملت اليك ، فأخرجهم ، وشددت عليه حتى غلّق (٤٥) باب الكنيسة وعاد الى مجلسه . واخترطت سيفي فضربت به على رأسه فقلت له : قد وقعت بهذا الموضع فأعطني عهداً (٤٦) حتى أكلمك بما أردت حتى أرجع من حيث جئت لا يتبعني منك (٤٧) خلاف . ففعل . فقلت : أنا البطال ، فاصدقني عما أسألك عنه ، وانصحنى والا أجزت (٤٨) عليك . فقال : سل عما بدا لك . فقلت : السرية ! فقال : نعم ، وافت البلاد غارة لا يدفع أهلها يد لأمس ، فوغلوا في البلاد ، وملؤوا أيديهم غنائم . وهذا آخر خبر جاءني أنهم بوادي كذا وكذا . قد صدقتك ، وليس عندي من خبرهم غير هذا ، فغمدت سيفي ، وقلت : ادع لي بطعام . فدعا ، ثم قمت . وقال : اشتدوا بين يدي رسول الملك حتى يخرج ! ففعلوا . وقصدت الى السرية حتى قدمت عليهم ، وخرجت بهم بما غنموا . فهذا أعجب ما كان .

قال : ونا الوليد قال : وأخبرني بعض شيوخنا قال (٤٩) :

رأيت البطال قافلاً من حجة السنة التي قتل فيها ، رحمه الله ، وهو يخبر أنه لم يزل في ما مضى من عمره مشتغلاً عن حجة الاسلام بما فتح له من الجهاد . وسأل الله الحج والشهادة ، فان الله قد قضى عنه حجته ، وهو يرجو أن يرزقه الشهادة في عامه هذا . ثم مضى الى منزله ، وغزا في عامه فاستشهد .

وعن الوليد قال : وأخبرني عبدالرحمن بن جابر قال :

فحدثني من سمع البطال يخبر مالك بن شبيب (٥٠) - يعني أمير مقدمة الجيش الذي قتل فيه عن خبر البطريق « أقرن » صهرالبطال أن « ليون » طاغية الروم قد أقبل في نحو مائة ألف .

فذكر الحديث في اشارة البطال عليه باللاحق ببعض مدن الروم المقللة المخربة ، والتحصن به حتى يلحقهم الأمير سليمان بن هشام (٥١) ، وعصيان مالك بن شبيبالبطال في رأيه هذا .

قال : ولقيناه - يعني « ليون » - فقاتل مالك ومن معه حتى قتل في جماعة من المسلمين ، والبطال عصمة لمن بقي من الناس ، ووال عليهم ، قد أمرهم ألا يعصوه ، ولا يذكروا له اسماً ، فتجمعوا عليه ، فشده عليهم حتى حمل حملة من ذلك . فذكر بعض من كان معه اسمه وناداه (٥٢) ، فشددت عليه فرسان الروم حتى شالته برماحها عن سرجه ، وألقته الى الأرض ، وأقبلت تشد على بقية الناس ، والناس معتمصمون بسيوفهم حتى كان مع اصفرار الشمس .

قال الوليد : قال غير ابن جابر : و « ليون » طاغية الروم قد نزل عن دابته ، وضربت له مفازة (٥٣) ، وأمر برهبتة وأساقفته فأحضروا فرقع يده ، ورفعوا أيديهم يستنصرون على المسلمين ، ورأوا من قتلهم وقلة من بقي فقال (٥٤) : ناد يا غلام برفع السيف وترك بقية القوم لله ، وانصرفوا بنا الى معسكرنا ، والقوم في بلادنا نغاديهم ، ففعل .

قال (٥٥) ابن جابر : وانصرف الى معسكره وبات . وأمر البطال منادياً ، فنادى : أيها الناس ، عليكم بسنادة (٥٦) فادخلوها ، وتحصنوا فيها ، وأمر البطال رجلاً على مقدمتهم ، وآخر على ساقتهم ، لا يخلّف جريحاً ، ولا ضعيفاً في ما قدر عليه وثبت (٥٧) في مكانه ، وثبت (٥٧) معه قريب له في ناس من مواليه ، وأمر من يسير في أوائلهم ، من يقول (٥٨) : أيها الناس الحقوا ، فان البطال يسير بأخراكم ، وأمر من يقول في أخراهم : أيها الناس ، الحقوا ، فان البطال يسير في أولاكم ، يهديكم الطريق ، ويهيء منزلكم بسنادة . فمضى الناس ، فلم يصبحوا الا وقد دخلوا سنادة ، وافتقدوا البطال . فأجمع رأيهم على تحصينها ، والقتال عليها .

قال (٥٩) : وأصبح البطال في مكانه في المعركة به رمق ، فلما كان من الغد ركب « ليون » بجيشه حتى أتى المعركة فوجدهم قد لحقوا بسنادة الا البطال ومن ثبت معه ، فأخبر به ، فاتاه حتى وقف عليه ، فقال : أبا يحيى ، كيف رأيت ؟ قال : وما رأيت ؟ كذلك الأبطال تقتل ، وتقتل . قال « ليون » : علي بالأطباء ، فأتي بهم ، فأمرهم بالنظر في جراحه ، فأخبروه أنها قد أنفذت مقاتله (٦٠) ، فقال : هل من حاجة ؟ قال : نعم ، تأمر من ثبت معي ، ومن في أيديكم من أسارى المسلمين بولايتي وكفني ، والصلاة علي ، ودفني ، وتخلي سبيل من ثبت عندي . ففعل ذلك . وقصد الى الناس بسنادة فحاصروهم ، فبينما هم على ذلك اذاشرف

من سند أو شيء مشرف على فرسه في رجال على خيول الطلائع ، وهو يقول : أيها الناس ، أنا ثابت البهراني ، اني رسول الأمير سليمان بن هشام يخبركم بسرعة سيره اليكم ، وهو آتيكم أحد اليومين • فسر ذلك المسلمين • وأصبح « ليون » سائراً بعسكره ، قافلاً الى القسطنطينية حتى دخلها • وأقبل سليمان بمن معه حتى نزل بسنادة ، وأصلح الى من كان بها حتى رحل عنها • وقال الشاعر :

ألم يبلغك من أنباء جيش	باقرن (٦١) غودروا جثثاً رما
غدوا من عندنا بصريم أمر (٦٢)	يجوبون المهاوي والظلاما
تقودهم حتوف لم يطيقوا	لها دفعاً هناك ولا خصاما
ولاقتهم زحوف الروم تردى	بجرار الضحى يقص الأكاما (٦٣)
كان جموعهم لما تلاقوا	ركام رائح يتلو ركاما
تلاؤا بيضهم لما أتوهم	مع الاشراف قد لبسوا اللثاما (٦٤)
فكان لهم به يوم عصيب	أثار السابحات به القتاما
معارك لم تقم فيها بشجو	نوائح يلتد من به التداما (٦٥)
نات عن مالك (٦٦) فيه بواك	ثواكل قد شجين به اهتماما
ولم تهمل على البطال عين	هناك بعبرة تشفى الهياما (٦٧)
عشية باشر الأهوال صبراً	بخيل تغرق الجيش اللهاما (٦٨)
يكر عليهم بالغيل طعنا	وضرباً يقتل البطل الهماما
إذا ما خيله حملت عليهم	تداعوا من مخافته انهزاما
فان تعلق به الأسباب يوماً	فقد تلقاه مغواراً حماما (٦٩)
ولم أر مثله أمضى جناً	وأحمد مشهداً وأقل ذاما
فلا تبعد هنالك من شهيد	فانك كنت للهيجا حساما

قال أبو عبدالله بن عائذ : وليس الشعر من حديث الوليد •

أنبأنا أبو سعد بن البغدادي ، أنا عبدالرحمن بن محمد بن اسحاق ، أنا الحسن بن محمد ، أنا أحمد بن محمد بن عمر ، أنا أبو بكر بن أبي الدنيا (٧٠) ، أنا علي بن الحسن ، عن أبي محمد السكوني (٧١) ، عن أبي بكر بن عياش ، قال :

قيل للبطال : ما الشجاعة ؟ قال : صبر ساعة •

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن البطل قتلته الروم في سنة اثنتي عشرة ومائة (٧٢) • وذكر أبو حسان الزياتي أنه قتل في سنة ثلاث عشرة •

أخبرنا أبو غالب الماوردي ، أنا أبو الحسن السيرافي ، أنا أحمد بن اسحاق ، نا أحمد بن عمران ، ناموسي ، ناخليفة ، قال (٧٣) :

وفيها - يعني سنة احدى وعشرين ومائة - قتل البطل بأرض الروم •

□ الهوامش :

- ١ - سيلي في اخباره كيف كانت الامة تغوف ابناءها به ، وما كان من موقف « ليون » عظيم الروم منه . وجاء في هامش عيون التواريخ : « هذا هو السيد غازي المشهور في بلاد الروم ، وله مقام عظيم ، واعتابه وابوابه من الفضة ، وله تكية ايضاً وقد جعلت الآن مدرسة .
- ٢ - الأنساب ٢/٢٣٩ .
- ٣ - الباب ١/١٥٩ .
- ٤ - تاريخ بغداد ١/٤٠٧ .
- ٥ - محمد بن عائد الدمشقي صاحب كتابي « المغازي والفتوح » ، ومن أقدم المؤرخين العرب . روى فاكسر عن الوليد ابن مسلم الدمشقي . روى عنه أبو زرعة الرازي ، وأبو زرعة الدمشقي ، وأبو عبد الملك البصري : والآخر راوي المغازي والفتوح عنه . كان ثقة صدوق . توفي سنة ٢٣٤ أو ٢٣٣ هـ . وكان مولده سنة ١٥٠ هـ تاريخ دمشق م ١٨ ل ٢٠٩ مصورة الأزهر ، وتهذيب الكمال (ل ١٢١٥) ، وتهذيب التهذيب ٦/٢٤٩ .
- ٦ - راجع البداية والنهاية ٩/٣٣١ ، وما يلي في تاريخ دمشق .
- ٧ - راجع عيون التواريخ م ٥ ق ٥ رقم ٤٥ ظاهرة وما يلي في تاريخ دمشق .
- ٨ - انظر ص ١٧٠ وكان ذلك سنة ٨٧ هـ انظر الطبري ٦/٤٢٧ .
- ٩ - ذكر ذلك كل من الطبري وابن شاکر الكتبي ، وابن الأثير وأضاف الأخير : وقيل سنة ثلاث وعشرين .
- ١٠ - تاريخ خليفة ٢/٥٢٤ .
- ١١ - سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩ .
- ١٢ - يراجع في ذلك تاريخ الطبري حوادث السنوات (١١٣ - ١٢٢) ، وتاريخ دمشق م ٧ ق ٢٢٥ ، ترجمة « سليمان ابن هشام » .
- ١٣ - سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩ .
- ١٤ - عيون التواريخ ٥/٧ .
- ١٥ - يعني بدر بن عبدالله الشيعي شيخ ابن عساكر ، وقد روى ابن عساكر عنه طريق الخبر كما ورد في تاريخ بغداد ٩/٣٣٨ « ترجمة الصباح بن بيان » أما الخبر بتمامه مع طريقه فقد رواه عن شيخه الآخرين .
- ١٦ - في تاريخ بغداد : « بحديث » ، والخبر التالي في البداية والنهاية ٩/٣٣١ ، وسير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩ .
- ١٧ - يريد أن الخطيب لم يسبق القصة في هذا الموضع . انظر هـ ١٥ .
- ١٨ - قول عبد الملك هذا متواتر في كتب التاريخ .
- ١٩ - الخبر الى هنا في سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩ .
- ٢٠ - في البداية والنهاية : « سير » ، وفي عيون التواريخ : « تقدم مسلمة البطال على عشرة آلاف يكونون بين يديه ترساً من الروم » .
- ٢١ - العلاقة كما يبدو في النص الجماعات التي كانت تجمع العلف لجيوش المسلمين « رئيس التحرير » .
- ٢٢ - الخبر من طريق ابن عائد في البداية والنهاية : ٩/٣٣١ ، وعيون التواريخ م ٥/٦ وهو باختصار في كامل ان الأثير ٥/٢٤٨ ، وسير أعلام النبلاء ٥/٢٦٨ .
- ٢٣ - في البداية والنهاية : « مع البطال » .
- ٢٤ - الاعجام من د ، ولا نقط في صل ، وفي عيون التواريخ : « ازجوا » .
- ٢٥ - د : « تفتحوا القرية » ، والبداية : « تستمكثوا من القرية » ، ويوافق عيون التواريخ ما في صل .
- ٢٦ - زهر السراج يزهر زهوراً وازدهر تلالاً .
- ٢٧ - رواية عيون التواريخ : « وأمسكته بيدها وأخرجته من الطاق وقالت : خذ يا بطال - يعني تغوفه - فاخذته » .
- ٢٨ - يعني محمد بن عائد : والخبر من طريقه في البداية والنهاية ٩/٣٣١ ، وعيون التواريخ م ٥ ق ٦ .

٢٩ - في البداية وعيون التواريخ « وقد سمعت » وسمعت الشيء علقته على السموط وهي سيور تعلق من السرج واحداها سمط .

٣٠ - في البداية والنهاية ، وعيون التواريخ : « شعر » .

٣١ - في البداية والنهاية وعيون التواريخ : أخذني اسهال عظيم ، وفي د : « أسهلنتني بطني » . وفي اللغة : أسهل بطنه ، وأسهله الدواء .

٣٢ - رطنج « برتنك » : كلمة فارسية معناها حزام السرج ، ويكون من الجلد او القماش .

٣٣ - المسبوت : المغشي عليه ، وكذلك العليل اذا كان ملقى كالتائم ، يقول : سبت المريض فهو مسبوت ، وسبت يسبت سبتاً : استراح وسكن ، والسبات : نوم خفي كالغشية .

٣٤ - أي أكرمه . يقال : هو مقتفى به اذا كان مكرماً .

٣٥ - انظر ه ٢٩ ، وفي البداية ، وعيون التواريخ : وأخذت راسه مسمطاً على فرسي » .

٣٦ - النفل : الغنيمة ، ونفله نللاً وإنفله إياه ونفله ، وفي عيون التواريخ . « فنفلني تلك الامراة بعينها » .

٣٧ - ٣٧ - استدرك ما بينهما في هامش صل .

٣٨ - في هامش صل : « آخر الثامن والثمانين بعد الثلاثمائة » .

٣٩ - روي مختصراً في البداية والنهاية ٣٣٢/٩ ، وعيون التواريخ م ٥ ق ٦ .

٤٠ - راث علينا خبره يريث ريثاً : أبطأ .

٤١ - يعني بذلك نفاذ المدة المتفق عليها بينه وبين السرية . الاستيعاب الاستقصاء في كل شيء .

٤٢ - د : « أحد » تصحيف .

٤٣ - د : « وافقت » .

٤٤ - المثال : الفراش ، وجمعه مثل ، وقيل النمط ، وهو ما يقترش من مفارش الصوف الملونة .

٤٥ - غلق الباب وأغلقه وغلقه ، والأولى نادرة . وفي التنزيل : « وغلقت الأبواب » .

٤٦ - د : « عقداً » .

٤٧ - د : « منه » .

٤٨ - أجاز أمره امضاء ، وفي حديث أبي ذر : قبل أن تجيزوا علي : أي تقتلونني وتنفذوا في أمركم اللسان : «جوز» .

٤٩ - الخبر من طريق الوليد في البداية والنهاية ٣٣٣/٩ ، وعيون التواريخ ٥/ق ٧ بكثير من الخلاف في الرواية .

٥٠ - هو مالك بن شبيب الباهلي ، كان أميراً لهشام بن عبد الملك على ملطية . ترجمه الحافظ في التاريخ (م ١٦ ق ١٠٧) ، وذكر طرفاً من خبره في بلاد الروم مع البطال . قتل سنة ١٢٢ .

٥١ - هو سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، ترجمه الحافظ في التاريخ (م ٧ ق ٣٢٥) ، وذكر في ترجمته نقلاً عن ابن عائد أن أباه أغزاه أرض الروم سنة ١١٣ ، وأنه أغزاه الصائفة سنة ١٢٠ ، ١٢٢ .

٥٢ - في الأصل : « ونداه » ، وما أثبتته من البداية والنهاية .

٥٣ - كذا في الأصل . والمفاضة في اللغة : المنجاة ، قال تعالى : ولا تحسبنهم بمفاضة من العذاب أما الفأزة فهي الفسقاط يقال : ضربوا الفأزات أي الفساطيط : وتقول : تلك الفأزة فيها المفاضة ، أي المفلحة . أساس البلاغة : « فوز » .

٥٤ - د : « قال » .

٥٥ - د : « فقال » .

٥٦ - اللفظة في الأصل من غير أعجام ، وستلي مرة واحدة : « سنادة » . وذكر ياقوت « سنبادة » وقال : ضيعة معروفة . وذكر البكري في ٣٤٧ ، ٦٠٦ : « صنجة » - بفتح اوله واسكان ثانيه بعده جيم - ، موضع بالنفور المتصلة ببلاد الروم ، وكذلك ضبطها ياقوت ، وقال : « نهرين ديار مضر : وديار بكر عليه قنطرة عظيمة من عجائب الأرض » ، فلعل هذا الموضع الذي ذكره كل من البكري وياقوت هو المقصود في الخبر .

٥٧ - ٥٧ - ما بينهما مستدرک في هامش الأصل .

٥٨ - في د : « ويقول » .

٥٩ - الخبر في سير الام النبلاء ٢٦٩/٥ وعبون التواريخ ٧/٥ ق ٧ بخلاف في الرواية .

٦٠ - في عبون التواريخ : « نفذت الى مقاتله » ، وهما بمعنى . نفذت مقاتله اي خرقتها ووقعت في وسطها ونفذت اليها اي جازت .

٦١ - في معجم ما استمع ١١٧ : اقرن - بفتح اوله واسكان ثانية وبضم الراء المهملة - موضع بديار بني عبس ، وذكر ياقوت « اقرن » موضع في شعر امرئ القيس، ولم يقيد وجاء في التاج - قرن - : « اقرن - بضم الراء - موضع بالروم ، ولم يقيد ياقوت بالروم » .

٦٢ - امر صريم : معتزم . ومعنى الكلام انهم مضوا عاقدين العزم على تنفيذ الامر الذي ذهبوا من اجله .

٦٣ - في د : « تودى » ، وقص الشيء يقصه : كسره .

٦٤ - اللثام : جمع لامة وهي الدرع . وتجمع ايضا على لام ولؤم . لم يذكر الاول اللسان وذكر الاخيرين . وهو قياسي لكل ما كان على فعلة اسما او صفة انظر شذا العرف ١٠٦ .

٦٥ - التدام النساء : ضربهن صدروهن ووجوههن في النياحة .

٦٦ - يعني مالك بن شبيب .

٦٧ - الهيام : اشد العطش .

٦٨ - اللهام : الجيش الكثير كانه يلتهم كل شيء .

٦٩ - الخمام : السيد الشريف : وفي د : « جماما » .

٧٠ - مكارم الاخلاق ٣٩ .

٧١ - لم تعجم النون في الاصل ، وفي د : « السلول » ، وفي مكارم الاخلاق : « ثنا ابو بحر السكوني فرات بن محبوب » ، لم أشر له على ترجمة .

٧٢ - ذكر الذهبي وفاته في هذه السنة ، و اضاف : « وقيل سنة ثلاث عشرة ومائة » ، و ارجح كل من الطبري وابن الاثير وابن شاعر الكتبي وفاته سنة ١٢٢ ، و اضاف ابن الاثير : « وقيل سنة ثلاث وعشرين ومائة » : و ارجح خليفة وفاته سنة ١٢١ ، وسيلي من طريقه .

٧٣ - تاريخ خليفة ٥٢٤/٢ .

★ ★ ★